

" الانسجام في النص التعليمي و أبعاده "

عليوة أمين (طالب دكتوراه)

د. أحمد بن عجمية

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

ملخص :

الاتساق والانسجام من "معايير النصية" حيث يهتم الاتساق ببنية النص و ترابط جملة أما الانسجام الذي هو موضوعنا فنجد أنه أكثر تجريدا وأقل معيارية؛ لأنه يعتمد على الإدراك والتأويل وفهم المتلقي أكثر من اعتماده على وسائل لغوية محسوسة و للتوصل إلى آليات تحقيقه نخلق متكلمين مثاليين ذوي ملكة نصية يملكون ناصية اللغة والتواصل وهذا ما أشار إليه "شارول" و "ديبوجراند" و "ميشال آدم" وعليه نقضي على الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في فهم النصوص وفي تحريرها خاصة، بما أننا نتبنى مقاربة جديدة وعلينا أن نهتم أيضا بالظروف التي أنتج فيها النص و خلفياته إضافة إلى القرائن اللغوية.

الكلمات المفتاحية : - النص - الانسجام - الإحالة - دلالة - معجمي - السياق

Résumé:

Cohérence et harmonie sont des "normes de Scripts" où la structure de cohérence intéressés du texte et enfile ses phrases L'harmonie qui est notre thème, nous constatons que le plus abstrait et moins standard, elle dépend de la perception et de l'interprétation et de la compréhension du récepteur que sur les moyens de feutre linguistique et atteindre mécanismes réalisables nous créer des enceintes idéalistes avec le texte de la Reine possède le coin de la langue et de la communication, et on parle de "Charol" et "Dibojerand" et "Michel Adam" et donc éliminer les difficultés rencontrées par les étudiants dans la compréhension des textes et privé édité, puisque nous adoptons une nouvelle approche et il faut aussi se soucier des circonstances qui ont produit la texte et le fond ainsi que des indices linguistiques.

Mots-clés: - texte - harmonie - Saisine - sémantique- lexicale-Contexte

Summary:

Consistency and harmony are "scripts standards" where interested consistency structure of the text and thread his sentences The harmony that is our theme, we find that the more abstract and less standard; it depends on the perception and interpretation and understanding of the receiver than on the means of linguistic felt and to reach achievable mechanisms we create speakers idealists with text Queen possess the corner of language and communication, and this is referred to "Harol" and "Debojerand" and "Michel Adam" and therefore eliminate the difficulties faced by students in the understanding of texts and private edited, since we adopt a new approach and we must also care about the circumstances which produced the text and background as well as linguistic clues.

Keywords: - text - harmony- Referral-semantic-lexical – Context

الانسجام في النص التعليمي و أبعاده: الانسجام من معايير النصية وبطبيعة الحال إذا غاب عن نص ما فلا يصح أن نسميه نصا لأن معاني النص والجمال التي يحتويها إذا لم تتسجم مع بعضها البعض فهي مجرد كلمات وعبارات لا ترقى لأن تكون نصا لأن النص يجب أن يحمل رسالة ما قصد إيصالها إلى المتلقي فإن كانت الرسالة مشوشة فلن تصل إلى المتلقي أو يكتنفها الغموض و إن وصلت فلن يكون ذلك بشكل سليم ، لهذا سنتعرف بشكل مفصل على الانسجام بشقه اللغوي والتداولي والآليات التي تسمح بتوفيره في النص.

وقد حاول شارول في مقاله "Enseignement de récit et cohérence du texte" « (1978) التوفيق بين مسألتَي الانسجام والبيداغوجيا واقترح تطبيق مبادئ الانسجام النصي في تصحيح نصوص المتعلمين ⁽¹⁾، انطلاقا من مبدئه الأساسي وهو الاستمرارية الدلالية حتى أن جميل عبد المجيد ربط مفهوم الانسجام بهذا المبدأ في تعريفه: "وهو (الانسجام) معيار يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص، ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم. ⁽²⁾

فالقراءة تعتبر كذلك عملية إنتاج للنص، واستقبال النص لا يقل أهمية عن إنتاجه، لأن المتلقي إنما يعيد بناء هذا النص بالقيام بنشاط تأويلي "activité interprétative" و من ثم يحكم على انسجامه أو عدم انسجامه ذلك أن الانسجام ليس شيئا معطى أو على الأقل تحققه أدوات لسانية كما رأينا مع الاتساق بل هو شيء يُبنى و هو بقدر ما يرتبط بالنص "بقدر ما هو في أذهان المتلقين في صورة قاعدة تحكم تأويل «و من ثم إنتاج» الأقوال» ⁽³⁾

وفق معطيات معينة مرتبطة أساسا بالمعرفة السابقة للعالم و بسياق التواصل و هو ما يجعل مفهوم الانسجام أعم وأعمق من مفهوم الاتساق كونه يتجاوز الظاهر في النص من المعطيات اللسانية إلى الكامن منه وهو العلاقات الدلالية أو الترابط المفهومي "conceptual connectivity" كما سماه دي بوجراند وبناء عليه حدد وسائل الانسجام في: ⁽⁴⁾

1. العناصر المنطقية (السببية، العموم، الخصوص، الخ...).
 2. معلومات عن تنظيم الأحداث و الأعمال و الموضوعات والمواقف (سياق التواصل).
 3. تفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم.
- وهي عمليات إدراكية ترتبط بالمتلقي (القارئ/ السامع) الذي لا يستقبل النص (الأقوال: énoncés) بذهن فارغ كما لا يتوقف عند الروابط الظاهرة كوجود عناصر تكرارية أو إحالية بل قد يكون النص منسجما حتى في غياب هذه الروابط كما هو الحال في الإعلانات والعناوين ومختصرات الأخبار.

وهذه النظرة تدحض بقوة تعريفات النص القائمة على أنه مجرد تتابع خطي لكلمات أو جمل وتعزز كونه "تسجما علائقيا بالدرجة الأولى - لمكونات خارجية وداخلية متفاعلة (تتجلى) في تمظهرات وصيغ متنوعة ⁽⁵⁾ واستجلاء المعاني الكامنة خلف هذا النسيج المستعمل في سياق تواصل يتم على "شكل تفاعل بين متلق يتوفر على كفايات خاصة (موسوعية، لسانية، منطقية، تداولية) وموضوع اشتغال دال" ⁽⁶⁾ الذي هو النص؛ على أن هذا التفاعل يختلف من متلق إلى آخر تبعا لـ "الكفايات الخاصة" بكل متلق.

كما نقل عن ابن أبي الأصبع المصري تعريفه للانسجام موافقا لمفهوم الاستمرارية ومحققا لمبدأ الحصافة وهو قوله: "وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحد الماء المنسجم، بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتى يكون للجملة من المنثور، والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره". ⁽⁷⁾

إذن فلنعتبر نص ما منسجما يجب أن يكون له طابع الاستمرار أي "أن يحتوي في تدرجه الخطي على عناصر تكرارية" ⁽⁸⁾، وتوفر اللغة مجموعة من الأدوات تحقق هذه الاستمرارية وهي:

- 1- إمكانية الإضمار والاستبدال (والتعريف).
- 2- التغطيات الافتراضية (Les recouvrements présuppositionnelles)

3- إجراءات الموضوعية (Procédures de thématisations)

فأما الإضمار فيسمح "باستدكار مركب أو جملة بأكملها من جملة أخرى"⁽⁹⁾

- كان فوكس يحس بالسعادة، وهو يرى رجال الحماية يتنقلون بسرعة كلما جاءهم نبأ عن حريق



- تناول التماسح الثقيلة،..... عجلاً اصطاده وهو يحس أن معدته ثقيلة ، بحيث لم تأت الفكرة

أن ينادي ابنه التماسح الصغير ليتناول ما بقي من الفريسة ، وهذا ليس عيباً .



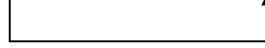
أما التعريف فيتم باستعمال (ال) أو إشاري + (ال) :

- يدخل العامل في الفرن ماسورة..... يخرج العامل بعد ذلك الماسورة.

- كان في إحدى القرى شاب اسمه مسعود يعمل نجاراً..... وكان هذا الشاب مهزول الجسم .

وأما الاستبدال فيتم باستعمال وحدات معجمية وهو يقترب من التعريف:

- وحول القمر تلمع النجوم في السماء، وتمتلئ بها القبة الزرقاء فتبدو جميلة ساهرة .



- ازداد حزن البحارة ، وراح كولومبوس ذلك القبطان الجري يمنيهم بالوصول إلى الهدف.. لكن طول المسافة وغياب

كل أثر للبر كان يقللان من ثقة البحارة برئيسهم ، فحاولوا أن يتمردوا عليه .

وإذ كانت هذه العناصر الثلاثة تتعلق بمستويات دلالية ظاهرة الأداة ، فإن التغطيات الافتراضية "تتدخل بصفة

غير مباشرة ، ولكن بفعالية مماثلة لضمان تتال للنص"⁽¹⁰⁾:

كان الأطفال يلعبون بأشياء بسيطة، إلا نيوتن فإنه كان يلعب بالألعاب الآلية.



ومن تتالي الجملتين نستنتج أن "نيوتن" هو أيضا "طفل"، رغم عدم وجود رابط إحصالي أو تكراري يربط بين الجملة

الأولى و الجملة الثانية، فعملت "إلا" هنا على تعدية ما قبلها إلى ما بعدها فكان المستثنى "نيوتن" بعضا مما قبله وهو

"الأطفال".

إضافة إلى هذه الافتراضات الدلالية هنالك التكرار المعجمي في ج1 كلمة شفاء وضمير المخاطب (ك) في ج2،

وهما يربطان الجواب إحصاليا بالسؤال.

أما (ج3) فلا يمكن ربطه بأي شكل من الأشكال رغم وجود الضمير (أعدته) الذي يعود على الطعام، ولكن لا

توجد تغطية افتراضية بينه وبين السؤال، وهذا يدل على أن الربط الإحصالي هنا ليس كافيا للقول بانسجام

المقطع (س1، ج3)، واستمراريته.

و إضافة للإضمار والتغطيات الافتراضية هناك إجراءات الموضوعية أو الموضوعات التي تمثل شكلا من أشكال

الاستمرارية الدلالية كذلك وهي قائمة أساسا على مفهومي الموضوع (Thème) والمحمول (Rhème)، المستلهمين من

تحليل مدرسة براغ -فيلام مثيزيوس- للجملة فيما يعرف عندهم بمنظور الجملة الوظيفي (Functional sentence

perspective) أي تحليل الجمل حسب مضمونها الإخباري بحيث يكون لكل عنصر أساسي في الجملة مساهمة دلالية

حسب دوره الديناميكي الذي يلعبه في عملية الاتصال"⁽¹¹⁾ وعليه تقسم الجملة إلى قسمين: الموضوع (Thème) وهو

يدل على المعروف أو المذكور في الجملة أو المتحدث عنه كما يعرفه Dubois :

« On appelle thème le constituant immédiat (Syntagme nominale) au sujet du quel on va dire quelque chose. »⁽¹²⁾

والمحمول (Rhème) أو المتحدث به وهو المعلومة الجديدة في الجملة:

« Le commentaire est la partie de l'énoncé qui ajoute quelque chose de nouveau au thème qui en « dit quelque chose », qui informe sur lui »⁽¹³⁾

كما في المثال: أما الأحياء العصرية، فإنها شامخة البنيان.

موضوع محمول

"في القرن الخامس عشر الميلادي، عاش فتى إيطالي اسمه كريستوف كولومبوس، كان مولعا بالأسفار وكان ذا عزيمة قوية وإرادة، فاستطاع أن يستميل ملكة اسبانيا فأعطته الرجال والأموال وتمنت له النجاح في رحلته."

الموضوع	المحمول
في القرن 15م	- عاش فتى إيطالي.....
كولومبوس	- كان مولعا بالأسفار
(هو)	- كان ذا عزيمة قوية.....
(هو)	- استطاع أن يستميل ملكة اسبانيا
ملكة اسبانيا	- أعطته الرجال و الأموال
هي	- تمت له النجاح في رحلته

إن هذا المقطع منسجم إذ يسهم كل عنصر في تدرجه من خلال " توزيع المعلومات المعروفة والمعلومات الجديدة بتعزيز الثانية على الأولى"⁽¹⁴⁾ والثالثة على الثانية، إذ تصبح المعلومة الثانية معروفة ويبنى عليها وهكذا.

على أن التابع الموضوعاتي هذا لا يكون دائما بشكل خطي أفقي بل يتمظهر في ثلاثة أنواع:

والتوجه الأول : في تحديد الموضوع والمحمول يعتمد على المحتوى خصوصا بالنسبة للنوع الثالث أين تتدرج

موضوعات عدة تحت موضوع عام (hyper – thème) مثل:

" تحركت الحافلة ببطء . النخيل مصطفى على حافتي الطريق . عراجين التمر متدلّية . ضوء الشمس ينعكس على الكثبان الرملية . حفارات النفط تبدو صغيرة من بعيد. "

نلاحظ هنا أن كل جملة تختلف في موضوعها عن الأخرى لكن المتلقي يمكنه أن يجمّلها تحت موضوع عام واحد هو: رحلة في الصحراء ، أو وصف الصحراء مثلا، وهذا اعتمادا على ما سماه نسلو (Nesplous) بالآثار المعجمية⁽¹⁵⁾: (Traces lexicales) أي الوحدات المعجمية التي تمكننا من إدراج الجمل تحت موضوع واحد : "الحافلة تحركت ، النخيل ، عراجين التمر ، الكثبان الرملية . حفارات النفط ."

وحين تغيب الآثار المعجمية، فيلجأ مستقبل النص إلى توظيف معارفه حول العالم وكذا يستعين بالسياق غير اللغوي (الإدراكي، النفسي، المعرفي...) الذي " يتعلق بقضايا التأويل والأيدولوجيا والعالم الخارجي كله"⁽¹⁶⁾ وهنا يدخل البعد التداولي في "تحديد المواضيع التي تخرج من دائرة اللغة (Hyper-hyper thème) إلى اتفاق أوسع ذي طابع اجتماعي حيث يوظف المتلقي قاعدة اجتماعية مفادها أن المتكلم حين يتكلم يريد أن يقول شيئا، أي أن لكلامه معنى." ⁽¹⁷⁾ انطلاقا من مبدأ الحصافة (la pertinence). ويعرف نسلو (l'hyper-hyper thème) (Nesplous) أي الموضوع الشامل بقوله: "هو شكل من الانسجام أبعد، لا يمكن بناؤه مباشرة بواسطة الخطاب نفسه ولكنه إسقاط من طرف المتلقي الذي يحاول بواسطة مجهود نهائي أن يمنح معنى لخطاب الآخر." ⁽¹⁸⁾

ويدخل في هذا المجهود كذلك توظيفه للمنطق المعقول في إطار معرفته بالعالم ولتوضيح الأمر يورد شارول

المثال الآتي : ⁽¹⁹⁾

أ) دخل جان في فراشه (و) سحب غطاءه، (و) أطفأ شمعته، نام ورأى أحلاما جميلة.

(Jean s'est glissé dans son lit, a remonté ses couvertures et soufflé sa bougie (et a fait de beaux rêves).

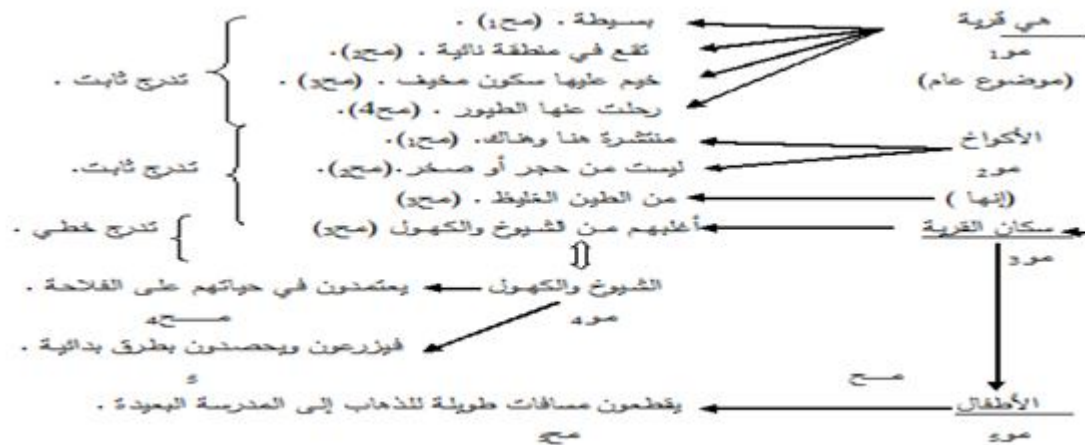
(ب) نام جان ورأى أحلاماً جميلة. دخل فراشه وسحب الغطاء وأطفأ شمعته .

(Jean s'est endormi et a fait de beaux rêves. il s'est glissée dans son lit, a remonté ses couvertures et soufflée sa bougie)

نلاحظ أن كلا المثالين مبني بناء لغويًا وموضوعاتياً سليماً، ولكن المتلقي يحكم على انسجام المثال (أ) وعلى عدم انسجام المثال (ب) لأن هذا الأخير يتنافى مع الواقع والمعقول والمنطق، أي أنه غير سليم تداولياً.

إن فإجراءات الموضوعة على أهميتها في إدراك آلية تنظيم مخيف في النص ومن ثم تفكيكه إلى "سلسلة من الشبكات الموضوعاتية" (20)، غير أنها ليست كافية وحدها لأن تفسر لنا الحكم بالانسجام كما أنه ليس من السهولة بمكان تحديد المواضيع ومحمولاتها في نص حقيقي لتداخل الأنماط الثلاثة مع بعضها حتى في المقطع الواحد كما في المقطع الآتي :

"هي قرية بسيطة تقع في منطقة نائية وقد خيم عليها سكون مخيف. رحلت عنها الطيور إلا بعض الغربان. والأكوخ منتشرة هنا وهناك ليست من حجر أو آجر إنما هي من الطين الغليظ. وسكان هذه القرية أغلبهم من الشيوخ والكهول، يعتمدون في حياتهم على الفلاحة، فيزرعون ويحصدون بطرق بدائية. أمّا الأطفال فكانوا يقطعون مسافات طويلة للذهاب إلى المدرسة البعيدة ، لا يمنعهم برد ولا مطر ولا حر." نلاحظ هنا وجود "انتلافات متباينة" لأنواع التدرج الموضوعاتي ويمكن أن نوضحها بالشكل الآتي:



كما أن (مو5) مشتق من (مو3) و (مو3) و (مو2) مشتقان من الموضوع العام (مو1) الذي هو (القرية). ويشير (Daneš) إلى أن التحليل الموضوعاتي للنص لا يمكننا إلا من فهم "جوانب جزئية للبناء النصي ... لذا يصعب تأسيس أية نمطية نصية شاملة استناداً إلى نحو التتابع هذا القائم على تتابع الجمل" (21)، وهنا يثير تساؤلاً مهماً عن كيفية الانتقال من "توالي النص إلى المعلومة الكلية للنصوص" (22) أي من الأبنية الصغرى (Micro-structures) المتمثلة

في أبنية الجمل وتتابعات الجمل في المقطع الواحد إلى الأبنية الكبرى (Macro-structures)، على مستوى المقاطع (Séquences) أي التمثيل الدلالي للنص بصورة مجردة.

وهو ما عبر عنه شارول بالمستوى المحلي (Niveau local) والمستوى الشامل (Niveau global) (23). فإجراءات الموضوعة تتم على المستوى المحلي فقط في حين أن انسجام النص لا يتحقق بانسجام البنى الصغرى فقط بل لابد من انسجام البنى الكبرى.

ويؤكد ذلك Charolles بقوله :

"إن انسجام قول ما يجب أن يتحقق من منظور محلي وشامل على حد سواء، فقد يكون النص منسجما على نحو جيد جزئيا (في بناء الصغرى) دون أن يكون كذلك كليا (في بناء الكبرى)".⁽²⁴⁾

ومجرد التمكن من استخلاص بنية كبرى للنص انطلاقا من الأبنية الصغرى الخاصة بكل مقطع والمستنتجة من التمثيلات الدلالية (مو/مح) لقضايا هذا المقطع⁽²⁵⁾ يعني أن النص منسجم.

وتوضيحا للعمليات التي تتم بين هذه البنى وكيف تنتقل من البنى الصغرى إلى استخراج البنية الكبرى، وضع **فاندايك** أربع قواعد أساسية تعمل على المستوى الدلالي أطلق عليها القواعد الكبرى أو قواعد التحويل الكبرى (Règles de réduction)، حاول من خلالها تبسيط ونمذجة عملية فهم موضوع النص وتفسير كيفية تلقي المعلومات والاحتفاظ بها في الذاكرة، وهي :⁽²⁶⁾

1) قاعدة الاختيار أو الإدراج: (M . R d'intégration)

ونتم كذلك بحذف قضايا تكون شرطا أو مكونا أو نتيجة عادية لقضية معينة من المقطع تستبدل بها:

" فعلى سطحي تعيش الطيور والحيوانات، ويحيا الناس: البيض والصفر والسود، يأكلون ويشربون ويعملون وينامون ويتحركون ويعبدون الله. —————> فعلى سطحي تعيش الحيوانات ويحيا الناس.

ويمكن أن نطبق القاعدة مرة أخرى فنحصل على:

"فعلى سطحي تعيش الكائنات الحية (ويمكن حتى استعمال لفظ الحيوانات ليشمل كذلك مفهوم الإنسان)."

وتختلف هذه القاعدة عن القاعدة الأولى في إمكانية استعادة المعلومات المحذوفة هنا إدراكيا أو ضمينا باعتبارها تتدرج في المعنى العام، فقولنا يحيا أو يعيش تشمل النوم ، والعمل، والأكل، والحركة.

2) قاعدة التعميم: (Macro règle de généralisation)

ونتم بحذف قضايا واستبدالها بقضية (ق) تتضمنها مفهوما:

"اجتمع أفراد المجموعة حول الغزال الصغير، وقام أحدهم بتطهير جرح الغزال، وقام آخر بربط الجرح برباط مقم" قام أفراد المجموعة بعلاج الغزال الصغير(أو الجريح).

3) قاعدة التركيب أو البناء: (M . R de construction)

ونكون ببناء أو تركيب قضية جديدة (ق) للمقطع (مق) ككل بحيث تمثل قضايا هذا المقطع إما شرطا أو مكونا أو نتيجة عادية ل (ق).

" يكسّر الزجاج إلى قطع صغيرة جدا ثم يوضع في الفرن الذي تكون درجة حرارته عالية جدا ويبقى في الفرن اثنتي عشرة ساعة حتى يذوب" —————> يُذوّب الزجاج.

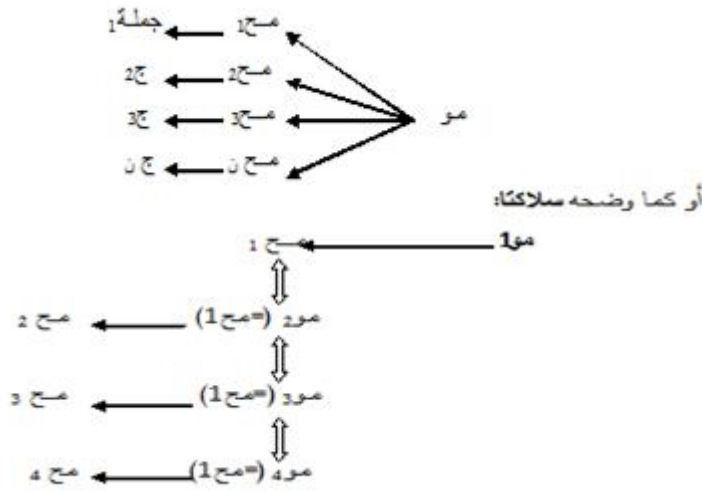
فإذابة الزجاج تتطلب تكسيه ووضعه في فرن عالي الحرارة درجة الانصهار باعتباره مادة صلبة وتركه مدة طويلة من الزمن.

لقد حدّد **فاندايك** أهمية هذه القواعد بقوله: " تمكنا القواعد من أن نقرر بدقة إلى حد ما هو رئيسي وما هو ثانوي تبعا لمعنى النص في مجمله"⁽²⁷⁾

وبالتالي وضع تلخيص لهذا النص أو بالأحرى تلخيصات، وذلك بتطبيق هذه القواعد - باعتبارها تكرارية (réursive)⁽²⁸⁾ - أكثر من مرة على نفس القاعدة النصية (سلسلة القضايا المكونة للنص) على مستويات بحيث نتحصل على بنى صغرى (أو بنى كبرى على المستوى الأول) ثم نطبقها على نفس البنى المستخلصة - على شكل قضايا جديدة مختزلة - فتحصل على بنى كبرى على مستوى أعلى وهكذا حتى نتحصل على بنية كبرى واحدة لا يمكن أن نطبق عليها هذه القواعد مجددا وهي ما نسميه البنية الكبرى الكلية للنص.

التوجه الثاني: التدرج بموضوع ثابت أو مستمر: Progression à thème constant

ويكون بإضافة معلومات جديدة للموضوع نفسه، ويمكن تمثيله بالمخطط الآتي؛ حيث مو(موضوع) ومح (محمول):



ومثاله: "في إحدى السنوات انتشر المرض بسرعة في أرجاء بلاد بخارى، وأصاب أناسا كثيرين،

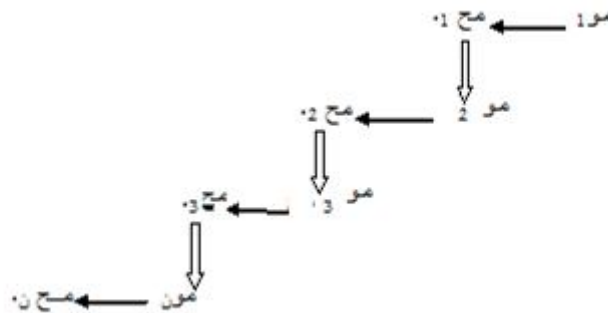
1 مو 1 مح

فقد تسرب حتى دخل قصور الأغنياء. واستطاع أن يقضي على خلق كثير. ولم يرحم أميرا ولا فقيرا ولا شيخا ولا شابا، وكان من شدته أن اقتحم أسوار الأمير نوح بن منصور فألزمه الفراش".

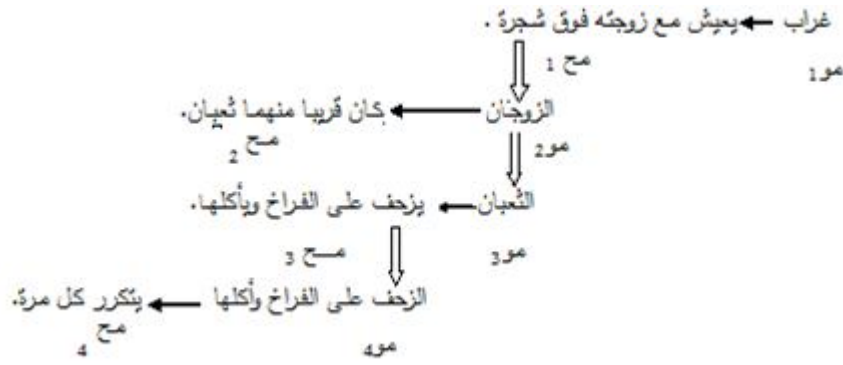


(2) التدرج بموضوع خطي : أو توال أفقي للموضوعات :

وفيه تتم موضوعة الموضوعات إذ يصبح محمول الجملة الأولى موضوع الجملة الثانية ومحمول الجملة الثانية موضوع الجملة الثالثة وهكذا على شكل سلسلة متكونة من حلقات محققا بذلك التدرج الخطي للنص

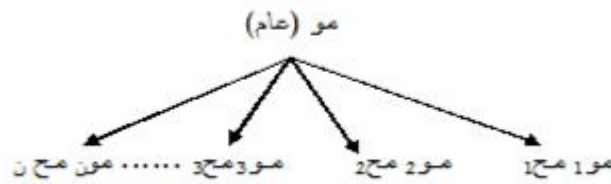


ومثاله : "كان غراب يعيش في عشه مع زوجته فوق شجرة مرتفعة، وكان قريبا منهما جحر فيه ثعبان، كان الثعبان كلما فقس الغراب شجرة. زحف على الفراخ فأكلها. وكان هذا العمل يتكرر كل مرة".



(3) التدرج بمواضيع مشتقة أو متفرعة : Progression à thèmes dérivés

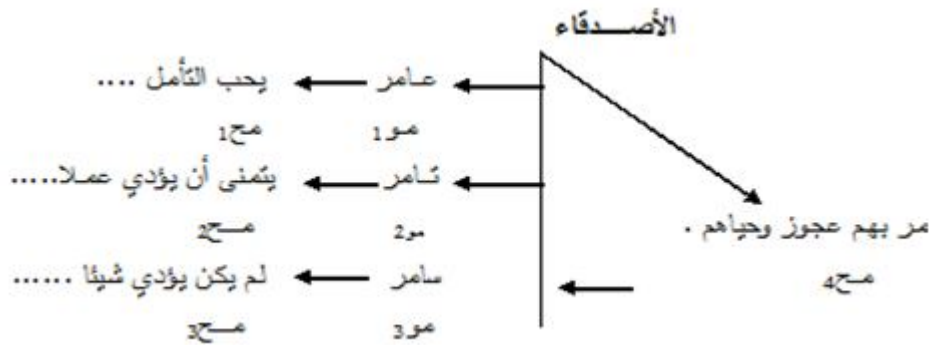
هذا النوع من التدرج الموضوعاتي يختلف عن النوعين السابقين ، من حيث وجود موضوع عام (hyper thème) ويكون عادة كلمة تحتل رتبة دلالية أعلى قياسا بالعناصر التي تشق منها. (29)



مثال : " في الزمن الماضي ، كان يعيش ثلاثة أصدقاء ، عامر وتامر وسامر .

وكان هؤلاء الأصدقاء يختلفون في طباعهم ، فعامر كان يحب التأمل كثيرا ، يمضي الوقت في التحديق إلى السماء. أما تامر فكان دائما يتمنى أن يؤدي عملا مفيدا ينتفع به الناس. وأما سامر فلم يكن يؤدي شيئا، ويمضي أغلب وقته متكاسلا نائما. في أحد الأيام مر عجوز بالأصدقاء فحياهم.."

فالموضوع العام هنا هو "الأصدقاء الثلاثة" وهو يتفرع إلى مواضيع جزئية مشكلا بذلك انسجام المقطع من حيث ارتباط المواضيع ومحمولاتها بهذا الموضوع العام :



ويتم تحديد الموضوع و المحمول إما على مبدأ الخطية أي التتبع الخطي للنص لتحديد المعلومة الجديدة من المعلومة القديمة اعتمادا على السياق الواردة فيه، وهذه الطريقة تصلح أكثر بالنسبة للمواضيع الثابتة أو المتدرجة خطيا. إذ تعتبر المعلومة اللاحقة - خصوصا في اللغات التي يلعب فيها ترتيب المفردات وظيفة نحوية للتمييز بين عناصر الجملة - ذات قيمة إخبارية مرتفعة مقارنة بالمعلومة السابقة.

يعتبر شارول أن كل نص كي يكون منسجما يجب أن يتضمن في تدرجه الخطي عناصر تكرارية صارمة (des éléments à récurrence stricte) تسمح هذه العناصر بربط أجزاء النص شكليا ودلاليا وذلك عن طريق: (30)

-الإضمار.

-التعريف والإحالة الإشارية والسياقية

-الاستبدالات المعجمية

-التغطيات الافتراضية والاسترجاعات الاستدلالية

وعن أهمية هذه القاعدة يقول بأنها تسمح بتحقيق طابع الاستمرارية، التدرج المتجانس والمستمر مما يعني غياب القطيعة (rupture).

(2) قاعدة التدرج Meta-règle de progression:

هذه القاعدة تسيّر في اتجاه معاكس للقاعدة الأولى فإذا كان التكرار يبيّن ذاكرة للنص ويربط أجزاءه في حركة استعادية (إحالية) ثابتة نسبياً فإن شرط التدرج يظهر النص كجهاز متحرك ينمو نحو نهاية، ويصف ذلك ميشال آدم بالتوازن الطريف (équilibre délicat) في قوله: "يمكن أن تحدد النصية كتوازن طريف بين استمرارية -تكرار من جهة وتدرج للمعلومات من جهة أخرى." (31)

• قاعدة عدم التناقض Meta-règle de non-contradiction:

حتى يكون النص منسجماً في بنيته الصغرى وبنيته الكبرى يجب ألا يدخل في تدرجه أي عنصر دلالي يتعارض مع المحتوى المطروح أو المفترض (المستنبط) بأي شكل من الأشكال، سواء لفظياً أو ضمناً أم على مستوى العوالم التي تحيل إليها القضايا إلا إذا تعلق الأمر بتوجه بلاغي.

التناقض اللفظي: contradiction énonciatives:

لكل مقطع أو نص إطاره التلفظي وتوجهه الزمني وأي تعارض على أحد هذين المستويين يجعله غير منسجم. هذا النوع من التعارض كثيراً ما يصادفه الأستاذون في كتابات التلاميذ مثل: "كان المنظر جميل أما الأزهار فكانت ملونة من كل الألوان وكان الجو حار والبرد" (32) فالتناقض واضح هنا لفظياً بين كلمتي "حار/البرد".

وعلى مستوى التحديد الزمني وهو كثيراً ما يقع نورد المثال الآتي:

"في أحد الأيام دعاني صديق لحضور الحفل الذي أقيم بمناسبة حلول فصل الربيع وبدأ الناس بالاحتفال بالتقاليدهم الدينية والوطنية."؟

التناقض الاستنتاجي والافتراضي Cont. Inferentielles et presuppositionnelles :

ويتم على المستوى الدلالي عندما يتعارض محتوى قضية ما معطى (posé) أو مفترض (présupposé) مع قضية أخرى مجاورة:

"حل فصل الصيف فخصرت (فاخصرت) المروج وتفتحت الأزهار ففاحت منها العطور وكان كل نبات أخضر (أخضرا) وكل حيوان يلهو والإنسان فرحاً بقدومه فكان قدومه قدوماً مفاجئاً."

نلاحظ في هذا المثال أن جملة "حل فصل الصيف" تتناقض مع الأوصاف التي جاءت في الجمل الموالية. ويعتبر الأستاذون هذا الخطأ خلطاً في الأفكار. أما النوع الثالث فيتم على المستوى التداولي وهو:

تتناقض العوالم وتمثلاتها :

يعرف دي بوجراند مفهوم العالم بقوله: "العالم النصي (textual world) هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بواسطة استعمال النص، وهو بهذه المثابة لا يوجد إلا في أذهان مستعملي اللغة." (33)

وحكمنا بالانسجام يعني أننا نقوم بإسقاط اللغة على العالم (العوالم) الحقيقي أو المفترض.

فإن كان هناك تعارض لمضامين القضايا على مستوى التصورات التي يضعها المتلفظون للعالم أو العوالم التي تحيل عليها هذه القضايا يغيب الانسجام حينئذ.

ويحدد دي بوجراند ثلاث نقاط أساسية مرتبطة بمفهوم العالم هي:

- المفاهيم (التي تعبر عنها القضايا) والعلاقات (الرابطات بين هذه القضايا) في مساحة معلوماتية (حدود تصور العالم). ويجعل ترابط المفاهيم داخل هذه المساحة المعلوماتية شرطاً للترابط ومن ثم الانسجام في قوله: "إن ترابط العالم النصي يتطلب أن يكون ثمة علاقة واحدة على الأقل تربط كل مفهوم إلى المساحة الكلية للمعلومة".⁽³⁴⁾
- "في يوم من أيام الربيع الزاهر، خرجت ليلي في نزهة إلى المروج الخضراء وأخذت معها كتبها لتطالع دروسها. كان الطقس جميلاً... شعرت ليلي بالسعادة تغمرها، وأرادت أن ترتاح قليلاً، فاستلقت على العشب في ظل شجرة كبيرة كان النسيم عليها فاستغرقت في نوم عميق، وراحت تحلم بأن فتاة صغيرة تقترب منها ولما ذهبت الفتاة الصغيرة سمعت "ليلي" الشجرة تناديهما .

وعاد الحلم إليها من جديد فرأت غزالاً أبيض لطيفاً،... شكاً إليها ظلم الصيادين ... ولما أرادت "ليلي" العودة عرض عليها أصدقاءها (الحيوانات) أن يصحبوها.

... تنبهت "ليلي" من نومها وأدركت أن كل ما رآته كان حلماً وعندما وصلت إلى حديقة منزلها فوجئت بأن المنزل قد اختفى، انتابها الحزن... لكن سرعان ما أمسك أصدقاؤها الحيوانات بيديها وطلبوا إليها أن تجلس على جذع شجرة كان في الحديقة. أجابت ليلي طلبهم وجلست على الجذع وما هي إلا لحظات حتى طار الببلب عالياً في الفضاء. أسرع إلى غرفتها وتمددت على سريرها بالقرب من النافذة المطلة على الحديقة وتذكرت الشجرة وجميع الحيوانات التي التقت بها في الغابة وقررت أن تكلم أهلها وأصدقاءها... لتفي بالوعد الذي قطعته بالمحافظة على الغابة".

في هذا النص لدينا عالم الواقع (ع) كما تحيل عليه العبارات الأولى "خروج ليلي للتنزه في يوم ربيعي..." ودخله هناك عالم فرعي (ع1) هو عالم الحلم، إذن:

وتنتهي حدود هذا العالم بانتهاء الحلم لتعود بنا القضية "تنبهت ليلي من نومها وأدركت أنها كانت تحلم" إلى عالم الواقع (ع) وكذلك فتفتح مجالاً للتأويل:

- إما أن البيت قد اختفى فعلاً في (ع).
 - أو أن البيت قد اختفى في (ع1). وهي الفرضية الراجحة هنا ذلك أن الجمل المولوية تتدرج ضمن (ع1).
- إن تداخل العالمين هنا يوقعنا في حيرة ويشعرنا بوجود تناقض وذلك لعدم وجود مرتكزات تبين لنا حدود كل عالم -لغويًا- وتساعدنا على التوقع وبهذا الصدد يقول دي بوجراند: "إن البناء على الوعي الاستبطاني (sensory apperception) يسمح لنا بفهم العالم لأن لدينا على الأقل بعض المرتكزات (strategies) التي يستعان بها على التوقع".⁽³⁵⁾ وغياب هذه المرتكزات في هذا المقطع الأخير من النص يُلْبِس علينا التوقع ويجعلنا نضع علامة استفهام .

3 قاعدة العلاقة (Méta-règle de relation):

إن النص شبكة علائقية أساساً فالوحدات المكونة له ليست مستقلة عن بعضها (جمل، مقاطع...) بل تربطها علاقات ذات طبيعة دلالية تعتبر عاملاً مهماً في انسجامه، يقول شارول: "حتى يكون مقطع أو نص ما منسجماً يجب أن تكون الوقائع التي يشير إليها في العالم المتمثل مرتبطة"⁽³⁶⁾

فهم النص لا يتم إلا بالوقوف على مختلف العلاقات المؤسسة بين عناصره وفك التشفير القائم بينها كأن تكون قضية ما مثلاً شرطاً أو سبباً أو نتيجة لقضية أخرى.

مثلاً في: "كان الشتاء قاسياً، فدخلت كل الحيوانات إلى أوكارها"

الجملة الثانية هي نتيجة للجملة الأولى وفي عبارة "كان الشتاء قاسياً، فتمت باكراً" لا توجد علاقة بين النوم باكراً وقسوة الشتاء لهذا نعتبره مثلاً غير منسجم.

إن وجود رابط أو عنصر مكرر أو إحالة لا يعني بالضرورة وجود علاقة بين الجمل كما أن غياب هذه العناصر لا ينفي ذلك.

نخرج عن الإطار النحوي الدلالي للجمل إلى ما تحيل عليه في الخارج، إلى توظيف معارفنا حول العالم كي نصل إلى الترابط المحقق، بمعنى أننا نستقصي "اجتماع تعالق الوقائع مع تعالق العوالم الممكنة التي تشير إليها الجمل، فالجمل مترابطة إذا كانت الوقائع التي تشير إليها القضايا متعلقة في عوالم متعلقة." (37)

إن هذه القاعدة هي أكثر وأقصى ما يلجأ إليه الأستاذون في تصحيح كتابات التلاميذ؛ فإذا كان تحقيق القواعد الثلاثة الأولى على مستوى الكتابة يتطلب شروطا معينة فإن هذه القاعدة من الحرية ما يسمح لهم بتوظيف معطيات خارجية كثيرة كالمقام ومعرفتهم بمستويات إدراك المتعلمين على تفاوتها والمعارف التي يوظفونها الخ. (38)

وبصفة عامة فإن استغلال قواعد الانسجام تعليميا له جانب إيجابي كبير إذ يمكن الأستاذين من موضوعة وتحديد أصل الأخطاء في كتابات التلاميذ كما يمكنهم من معالجة التراكمات السيئة (malformations) بدقة. وإن صنفها شارول في خانة الانسجام فهي تشمل كل جوانب النص وأبعاده:

النص بنية متسقة ذات ذاكرة داخلية	↔	قاعدة التكرار
النص ذو خاصية استمرارية تضمن ديناميكيته التواصلية	↔	قاعدة التدرج
النص وحدة منطقية حصيفة و تعبر عن عوالم مستمرة	↔	قاعدة عدم التناقض
النص نسيج متعلق داخليا و خارجيا	↔	قاعدة الترابط

فالقاعدتان الأولى والثانية لغويتان متعلقتان بتركيب النص وتمثلان جانب المرسل الذي يراعيهما في بناء نصه، في حين أن الثالثة والرابعة دلالتان مقاميتان يتجه إليهما فكر المتلقي محاولا فك شفرة النص بإدراك أوجه الترابط بين وحدته وإسقاط معارفه حول للعالم؛ ذلك أن "عملية الفهم هي توحيد المعلومات الطارئة والمعلومات المخترنة." (39)

وكخلاصة نبور كل قواعد الانسجام في التعريف الآتي: "إن النص يتكون من وحدات لغوية دنيا تتدرج هرميا مشكلة بنى مقطعية متسقة ومترابطة (au niveau local et au niveau global) غير متعارضة فيما بينها لفظيا وداليا ومع العوالم التي تمثلها، تتنامى موضوعاتها نحو بنية كبرى شاملة (تيمة كلية) محققة غرضا تواصليا."

إذا ما قارنا بين الاتساق و الانسجام نجد أن هذا الأخير أكثر تجريدا وأقل معيارية؛ لأنه يعتمد على الإدراك والتأويل وفهم المتلقي أكثر من اعتماده على وسائل لغوية محسوسة وبالتوصل إلى آليات تحقيقه نخلق متكلمين مثاليين ذوي ملكة نصية يملكون ناصية اللغة والتواصل وعليه نقضي على الصعوبات التي يواجهها التلاميذ في فهم النصوص وفي تحريرها خاصة.

قائمة الهوامش :

1 Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, Charolles, P13.

2 Ibid, P13.

3 الاتساق والانسجام في القرآن الكريم م ن، ص ن .

Grammaire de texte, théorie du discours..., Charolles, P21.4

5 المرجع السابق، ص91.

6 مدخل إلى علم لغة النص، ص29.

- 7 انظر: وضع الأستاذ بن عروس هيكلًا تجريديًا لتركيب النص بشكل فيه مو/مح حلقة وسط بين قضايا كل مقطع من مقاطع النص من جهة والتمثيلات الدلالية لهذه القضايا والتي تمثل الأبنية الكبرى لكل مقطع وعلى مستوى أعلى البنية الكبرى لكامل النص أي بنية إنتاج النص وتلقيه. أنظر: الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم، ص39.
- 8 علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص81-84. ومقال شارول السابق، ص 25-26.
- 9 علم النص، فاندايك، ص87.
- 10 علم النص، فاندايك، ص93
- 11 علم النص، فاندايك، ص77.
- 12 Grammaire de texte...., Charolles, P25.
- 13 Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, P15-18.
- 14 Éléments de linguistique textuelle, P45.
- 15 النص والخطاب و الإجراء، ص212.
- 16 Introduction aux problèmes de la cohérence., p31.
- 17الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم، ص95.
- و تتمثل هذه المعارف فيما تعلموه من خلال الأنشطة الأخرى كالتربية العلمية والمدنية والإسلامية
- وغيرها فكثير من المواضيع المحررة تمس حياتهم اليومية مما يسمح لهم بتوظيف ما تعلموه عامة.
- النص والخطاب والإجراء، ص116
- 18 وانظر كذلك: علم لغة النص، سعيد بحيري، ص244-245.
- 19 علم لغة النص، سعيد بحيري، ص246.
- 20 وغيرها فكثير من المواضيع المحررة تمس حياتهم اليومية مما يسمح لهم بتوظيف ما تعلموه عامة. النص والخطاب والإجراء، ص116
- 21 مدخل إلى علم لغة النص، ص 92
- 22 مدخل إلى علم لغة النص، المرجع نفسه، ص ن
- 23Introduction aux problèmes de la cohérence des textes, Charolles, P13.
- 24 Ibid, P13.
- 25 وضع الأستاذ بن عروس هيكلًا تجريديًا لتركيب النص بشكل فيه مو /مح حلقة وسط بين قضايا كل مقطع من مقاطع النص من جهة والتمثيلات الدلالية لهذه القضايا والتي تمثل الأبنية الكبرى لكل مقطع وعلى مستوى أعلى البنية الكبرى لكامل النص أي بنية إنتاج النص وتلقيه. انظر: الاتساق و الانسجام في القرآن الكريم، ص39
- 26 .علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ص81-84 ومقال شارول السابق، ص 25-26
- 27 علم النص ، فاندايك ، ص 87
- 28 علم النص ، فاندايك المرجع السابق، ص 93
- 30 Grammaire de texte...., Charolles, P26.
- 31 Éléments de linguistique textuelle, P45.
- 32 المثال مأخوذ من أحد تعابير تلاميذ السنة الخامسة وقد حافظنا على صيغته الأصلية بحيث لم نصحح كلمتي "جميل" المنصوبة - خبر كان - و"حار" المنصوبة كذلك لأنها خبر كان، وكذا الأخطاء الإملائية.
- 33 النص والخطاب والإجراء، ص113
- 34 النص والخطاب والإجراء المرجع السابق، ص 120
- 35 النص والخطاب و الإجراء، ص212
- 36 Introduction aux problèmes de la cohérence., p31.
- 37 انظر كذلك: علم لغة النص، سعيد بحيري، ص244-245.
- 38 تتمثل هذه المعارف فيما تعلموه من خلال الأنشطة الأخرى كالتربية العلمية والمدنية والإسلامية وغيرها فكثير من المواضيع المحررة تمس حياتهم اليومية مما يسمح لهم بتوظيف ما تعلموه عامة.
- 39 النص والخطاب والإجراء، ص116.